المجتمع المدني الجزائري وتفعيل العمل التطوعي الخيري

د./ بن عبد العزيز فطيمة / بن حمودة*

Abstract:

À l'ère de la mondialisation, les services ont besoin, plus que jamais, d'intégration sociale entre les différentes classes afin d'atteindre les objectifs du développement économique global et durable. La société civile est un moyen d'activer le travail bénévole de bienfaisance pour fournir des soins et services à la collectivité. Et l'Algérie, comme étant membre de la communauté musulmane, travaille dur pour promouvoir la philanthropie par le biais des associations volontaires civile structurée dans le cadre des valeurs éthique islamiques.

Se basant sur la la réalité des associations civile algérienne, notre article essaye de traiter comment peut-on motiver celles-ci au travail bénévole de bienfaisance afin d'organiser cette nouvelle prise de conscience pour réaliser le développement économique et social.

Les mots clés: Société civile, Associations civile, Economie solidaire, Le travail bénévole de bienfaisance.

ملخص:

في اقتصاد تضامني في عصر العولمة، أصبحت الخدمات أكثر من أي وقت مضى في حاجة إلى التكامل الاجتماعي بين مختلف الطبقات بغية تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية الشاملة والمستديمة. ويعد المجتمع المدني هو أحد وسائل تفعيل العمل التطوعي الخيري لتقديم الرعاية والخدمة للمجتمع. والجزائر ضمن المجتمع الإسلامي، تعمل جاهدة لترقية العمل الخيري التطوعي من خلال بناء جمعيات مجتمع مدني مهيكلة تسعى للخير في إطار القيم والأخلاق الإسلامية.

من خلال الواقع الميداني لجمعيات المجتمع المدني الجزائري، تنصب إشكالية بحثنا في تفعيل دور المجتمع المدني ضمن العمل التطوعي الخيري لبعث ثقافة توعوية جديدة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة استنادا للوضع الراهن للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: مجتمع مدني، جمعيات المجتمع المدني، اقتصاد تضامني، العمل التطوعي الخيري.

* أستاذة محاضرة (أ) - جامعة البليدة سعد دحلب

مقدمة:

تعرف المجتمعات العربية والإسلامية في الفترة الأخيرة تغيرات معتبرة وتطورات عميقة، وترقية جمعيات المجتمع المدني للأعمال الخيرية هو أحد الانشغالات الكبرى لكل مجتمع واع لاستدراك سنوات من الفشل وسوء التنظيم. فالمجتمع المدني نظام قائم بحد ذاته يتكون من أنظمة فرعية متناسقة، له دور كبير في ترقية الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع في مجالات عدة. وعليه، فإن دوره في تنظيم وترشيد العمل الخيري دون شك سيعمل على التقليص من الأمراض والفقر من أجل توفير الصحة الجيدة وتلبية احتياجات السكان.
يعمل المجتمع المدني من خلال الجمعيات المنشئة على إعادة تخصيص الموارد والخدمات باستهداف الفقراء والمستضعفين استهدافاً مباشراً، التركيز على الفقراء وأحوالهم، تقليص عبء المدفوعات عنهم، تحسين الإمداد بخدمات محددة وزيادة فعاليتها، تشجيع العمل المشترك بين القطاعات لتحقيق مكاسب متعددة...الخ.
شهد العمل الاجتماعي عدّة تغيّرات وتطورات في مفهومه ووسائله ومبادئه, فبعد أن كان الهدف الأساسي هو تقديم الرعاية والخدمة للمجتمع, أصبح الهدف الآن تغيير وتنمية المجتمع. ومن الملاحظ أن العمل الاجتماعي يعد من أهم الركائز لتحقيق التقدّم الاجتماعي والتنمية, ومعيارا لقياس مستوى الرقي الاجتماعي للأفراد.

– مشكلة البحث:
من خلال الواقع الميداني لجمعيات المجتمع المدني الجزائري، تنصب إشكالية بحثنا في كيفية تفعيل دور المجتمع المدني في العمل الخيري لبعث ثقافة توعوية جديدة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة استنادا للوضع الراهن للمجتمع.

– أهمية البحث:
تنبع أهمية البحث في إبراز أهمية ودور المجتمع المدني في تفعيل العمل الخيري التطوعي في المجتمعات الإسلامية، وذلك بعرض الواقع الجزائري الذي يتصف بصفات متشابهة لعدد من البلاد الإسلامية، ومتميز بوضع خاص ناتج عن الظروف والأحداث التي عرفتها البلاد خلال السنوات الأخيرة.

– وفرضية البحث:
لا يمكن الاستغناء على جمعيات لمجتمع المدني كأحد الآليات التي يمكن أن تسهم في العملية التنموية بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة. وبناءا على هذا، ينتج عندنا الفرضية الأساسية للبحث: توجد علاقة ترابط بين إنشاء جمعيات المجتمع المدني للعمل التطوعي الخيري ومتغير أساسي هو التنمية الاقتصادية المستدامة الشاملة.

1) المجتمع المدني والعمل التطوعي الخيري:

يسعى المجتمع المدني إلى ربط الفئات المهمشة (الأحياء الشعبية، المراكز الصغيرة، القرى النائية) بالتطورات الذي تعرفه البلاد. وهذا من شأنه المساهمة في بلورة وعي مشترك بالقضايا المثارة والمساهمة في تحسين الظروف المحيطة ومكافحة الفساد والفقر[1] والمشاركة في التقييم لكافة البرامج التنموية، وأن لا تكون جمعيات المجتمع المدني مجرد متصيد للأخطاء[2].

1-1) العمل التطوعي الخيري قاعدة عمل المجتمع المدني:

إن الحديث عن العمل التطوعي الخيري والمجتمع المدني –وإن كان بسيطا– قديم قدم الزمان، يعود لقدماء المصريين والإغريق والرومان وغيرهم[3]. وفي الكتابات الإسلامية، نجد الشريعة بها خزان كبير لهذه المفاهيم خاصة من خلال مفهوم الوقف الإسلامي[4]. فهناك آيات كريمة في القرآن الكريم وأحاديث شريفة لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليم وسلم تحث على العمل التطوعي، والذي هو بمثابة صدقة في الإسلام. والتنمية في الإسلام مفهوم يُعلي من شأن النفس الإنسانية بقيام الإنسان بدرجات متزايدة للسيطرة على الموارد المتاحة في الكون لخدمته للرفع من مستوى الدخل، فيضعها موضع التكريم اللائق بها الذي يُمكنها من أداء دور الإنسان في الاستخلاف في تعمير الكون وتحقيق العبودية الخالصة لخالق هذا الكون وحده[5].

- **التطوع:**

التطوّع في اللغة مشتقة من الطاعة لوجه الله، وهو ما تبرع الإنسان به من جهد أو وقت أو مال في خدمة المجتمع دون أن يُفرض عليه ودون انتظار عائد مادي في المقابل[6]. فالتطوع ظاهرة إيجابية وسلوك حضاري في أغلب المجتمعات الإنسانية كإطار قانوني يقوم الأفراد من خلاله بالاستفادة من الموارد البشرية في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمة في كل زمان ومكان قصد الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، فهو يساهم بتخفيف التكاليف والتقليل من وقت العمل واستغلال كل الطاقات البشرية لخدمة التنمية الاقتصادية من خلال التكافل الاجتماعي[7].

والتطوع من الطاعة، وهو ما تبرع به الإنسان من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه. ويطلق التطوع في الإصطلاح الشرعي على الأعمال والعبادات التي يحبذها الشرع دون أن يعتبرها فرضا واجبا على المكلف.

- **العمل التطوعي الخيري:**

يمكن تعريف العمل الخيري التطوعي بأنه مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال. ويتصف العمل التطوعي بأنه عمل تلقائي, ويجب أن يكون منظما ليحقق النتائج المرجوّة منه وإلا سينجم عنه آثارا عكسية. كما يجب على منظمات المجتمع المدني أن تسلط أعمالها التطوعية على كل مناحي الحياة، حتى تلك المكتسبة عبر قرون. وفي هدا الإطار، ناقش المؤتمر السادس للاتحاد العربي للعمل التطوعي قضية الحفاظ على التراث وتنمية السياحة العربية[8].

كما يُعرف العمل التطوعي الخيري بأنه عملية إسهام المواطنين طواعية واختياراً في أعمال التنمية، سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو غير ذلك، ويُبذل من أجل المجتمع أو من أجل جماعات معينة ودون توقع جزاء مادي مقابل هده الجهود.
يعتبر العمل التطوعي الخيري رمز تقدم المجتمعات وازدهارها، فبتقدم ورقي المجتمع تزداد حاجة الأفراد للعمل التطوعي الخيري سواء من جانب المنخرط أو من جانب المستفيد، لاسيما أن مقومات المجتمع المعاصر تعرف تطورا سريعا في كافة المجالات.
وقد يكون من دوافع العمل التطوعي الخيري دوافع دينية (لمرضاة الله سبحانه وتعالى)، نفسية (تصرف يكون سعادة)، اجتماعية (لتوثيق الروابط وتنمية التعاون والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع وقصد تلقى الرضا والقبول)، إنسانية (المرء يشعر بآلام الآخرين)، وحضارية.

⊕ المجتمع المدني:

تحدث ابن خلدون في كتابه الشهير "مقدمة ابن خلدون" عن المجتمع المدني وأهميته في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية والسياسة للدول ودوره في تحقيق الرخاء الاجتماعي. ومن غير المعقول أن لا ينتبه الباحثون وعلماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتنمية البشرية، طوال هذه العقود الأخيرة، إلى تعريفه الباهر للمجتمع المدني حين يقول العلامة ابن خلدون في كتابه المقدمة أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران[9].
جمعيات المجتمع المدني هي مؤسسات للعمل الخيري في العالم، تقدم الخير والنفع والمساعدة للكثيرين ممن تضرروا نتيجة الحروب والكوارث والأزمات. إلا أنها اليوم تمر في ظروف صعبة وأليمة نتيجة الضغوط التي تمارس ضدها بدعوى أنها تمول الإرهاب[10].
كما يستخدم مصطلح المجتمع المدني عندما نتحدث على عمل أشخاص جماعيا مستقلين عن الدولة[11].
ويمكن استخلاص عدد من العناصر التالية:

- المجتمع المدني منظمات وسيطة ومستقلة تملأ الفضاء الاجتماعي القائم بين الدولة والسوق والأسرة؛
- يقوم المجتمع المدني على أساس رابطة اختيارية يدخلها الأفراد طواعية ودون انتظارا عائد؛
- يتطلب المجتمع المدني نظاماً قانونياً يحدد مجموعة الحقوق التي تكفل استقلال هذا المجتمع وتنظم العلاقة بينه وبين الدولة؛
- وسيادة ثقافة مدنية تقوم على أساس قبول الآخر المختلف وإقرار التعددية داخل المجتمع، والقدرة على حل الصراعات بطريقة سلمية وديمقراطية.

⊕ والمجتمع المدني وتفعيل العمل الخيري التطوعي:

يسهم العمل الخيري التطوعي كغيره من القطاعات في الدخل الوطني، إذ يسهم في تقديم خدمات ملموسة في مجال البيئة والصحة والتربية وخدمات الفئات الهشة بما في ذلك المعوقين والأطفال والنساء والعجزة والمقعدين وكبار السن[12]. ومن هنا، لا بد أن تنطلق جمعيات المجتمع المدني لتفعيل العمل الخيري من خلال التركيز على قضايا عدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– **الفقر عائق للتنمية والنمو:**

يعد الفقر من المواضيع الشائكة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ليصبح آفة عالمية يضرب جذوره حتى في أغنى الدول ولتوسع رقعته لمعظم الدول النامية. وعلى الرغم من أن الاقتصاد العالمي قد توسع بمقدار خمسة أمثال في العقود الأربعة الماضية، فإنه لم يستأصل حدة الفقر، وزادت من حدته مع تنامي عصر العولمة[13].

يجب على الجمعيات أن تعمل على دحر الفقر الذي أصبح ظاهرة منتشرة على نطاق واسع في البلدان الإسلامية، وهي ليس إلا جزء من المشكلة، فالرعاية الصحية المتدنية أو المفقودة أو انحصار فرص الحصول على التعليم الجيد وتدهور البيئة السكانية. وفي الجزائر في السنوات الأخيرة، توسعت دائرة الفقر كثيرا وازدادت حدة خاصة في المناطق الريفية، وهذا بسبب تدهور الظروف الأمنية وتفشي ظاهرة الإرهاب بالإضافة المشاكل الاجتماعية وتسريح آلاف العاملين من جراء سياسة الإصلاح الهيكلي ليضفوا لعدد الباطلين الموجدين.

– **رفع الإنتاجية هدف تنموي:**

لا يجب على جمعيات المدني أن تنظر للفقر فقط بل يجب أن تضع رفع الإنتاجية كهدف تنموي يرتبط بفتح مناصب شغل لدعم العملية الاستثمارية كمؤشر هام يلقى الضوء على مدى النجاح في استخدام الموارد الحقيقية، فإن زيادة عامل في الدورة الاقتصادية يؤدي إلى زيادة نصيب دخل الفرد من الناتج الوطني.

يعد الشباب ركيزة العمل التطوعي من جهة وعامل نشيط في منظمات المجتمع المدني وتتمثل أهمية العمل الاجتماعي التطوعي للشباب[14]:

1. تعزيز انتماء ومشاركة الشباب في مجتمعهم؛
2. تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية؛
3. يتيح للشباب التعرف على الثغرات والسلبيات التي تشوب نظام الخدمات في المجتمع؛
4. يتيح للشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهم المجتمع؛
5. يوفر للشباب فرصة تأدية الخدمات بأنفسهم وحل المشاكل بجهدهم الشخصي؛
6. ويوفر للشباب فرصة المشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع, والمشاركة في اتخاذ القرارات.

– **والمشاركة في التنمية الاقتصادية الشاملة:**

أصبحت جمعيات المجتمع المدني شريكا استراتيجيا للدولة في العملية التنموية خاصة مع ما يقتضيه ذلك من البحث عن التمويل الأجنبي الذي أصبح يفضل التعامل بمصداقية مع المنظمات غير الحكومية على التعامل مع الدولة، إضافة لتحملها التمويل الجزئي لبعض المشاريع خاصة في القرى النائية وبعض الأحياء.

2-1) العمل التطوعي الخيري والمجتمع المدني في العالم:

على المستوى الكلي، العمل الخيري بشقيه الديني الإسلامي أو المسيحي أو الإنساني المحلي والدولي له دور فعال في مساعدة الدول الفقيرة والدول الغنية على حد السواء، فالدول الفقيرة تساعدها المنظمات والجمعيات الخيرية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي من خلال البرامج المقدمة، بينما الدول المانحة والمتبرعة تستفيد في تحقيق أهدافها التنموية وإستراتيجيتها في الدول الفقيرة في ظل الأمن والسلام والخير والطمأنينة[15].

- **اليوم العالمي للتطوع:**

كانت سنة 2001 عاماً دولياً للمتطوعين، ففي الخامس من ديسمبر من كل سنة تحتفل المؤسسات الحكومية والمدنية والدولية باليوم العالمي للتطوع الذي ينظمه برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، ويعد هذا اليوم تكريما للعمل التطوعي ودعما لدوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وعلى الرغم أن هذا اليوم اعتمد من قبل الأمم المتحدة في 17 ديسمبر 1985، إلا أن العمل التطوعي في المجتمع ظل محصوراً ومقتصراً في بعض المجالات دون غيرها، مما يعيق تحقيق التنمية الشاملة في المجتمع.

إن تنظيم اليوم العالمي للتطوع هو عادة نتيجة لشراكة بين منظومة الأمم المتحدة والحكومات والمنظمات التطوعية والأفراد الملتزمين. وغالبا ما يشارك ممثلون عن وسائل الإعلام أو الأوساط الأكاديمية والمؤسسات والقطاع الخاص والجماعات الدينية والثقافية والرياضية والترفيهية المنظمات أيضا.

ووفق الأمم المتحدة، يكون دور اليوم العالمي للتطوع على الخصوص في تحقيق[16]:

- فرصة للمتطوعين الأفراد والمجتمعات والمنظمات لتعزيز مساهماتهم في التنمية على المستويات المحلية والوطنية والدولية عن طريق دمج دعم الأمم المتحدة؛
- تقديم فرصة فريدة للمنظمات التي تعنى بالعمل التطوعي للعمل مع الوكالات الحكومية والمنظمات غير الهادفة للربح والجماعات المحلية والقطاع الخاص؛
- والعمل على مساهمات المتطوعين في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية لمكافحة الفقر والجوع والمرض والأمية والتدهور البيئي والتمييز ضد المرأة.

- **المجتمع المدني وتنفيذ الأهداف الإنمائية للألفية:**

مما سبق ذكره، تعد الجمعيات العمود الفقري للمجتمع المدني في تنفيذ الأهداف الإنمائية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالمجتمع المدني يضم تشكيلات عديدة مثل النقابات العمالية والمهنية واتحادات رجال الأعمال واتحادات الفلاحين والجمعيات الأهلية والخيرية وغيرها من التنظيمات. وبالرغم من أن العولمة سلاح ذي حدين، إلا أن جمعيات المجتمع المدني تحاول الاستفادة منها لتحقيق أهدف الألفية من خلال الفرص التي توفرها خاصة تلك المرتبطة بمنجزات الثورة التكنولوجية وثورة الاتصالات والمعلومات والانترنيت لخدمة البشرية ومحاربة الفساد[17].

هناك ثلاث نقاط أساسية عن المجتمع المدني، تضمنتها وثيقة الأهداف الإنمائية للألفية يمكن تلخيصها في ما يلي:

- التأكيد على مفهوم مجتمع مدني قوى يركز على الفعالية والكفاءة لتحقيق الأهداف والوصول إلى الفئات المستهدفة، وليس مجرد توفر بنية أساسية تعتمد على الأرقام؛
- التأكيد على قيمة الشراكة (وهى فكرة برزت في التسعينات من القرن العشرين، ونصت عليها المواثيق العالمية بدءا من مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية عام 1994) الذي يشير إلى علاقة بين طرفين أو أكثر تتوجه لتحقيق النفع العام لتعظيم المردود وتحقيق الأهداف؛
- والمشاركة الشعبية القاعدية عن طريق تحريك همم وطاقات المواطنين في المجتمع المحلى للإسهام في مواجهة تحديات التنمية البشرية بتعبئة العمل التطوعي.

والمجتمع المدني والعمل التطوعي الخيري في بعض دول العالم:

للدول وجوه وملامح عديدة، بعضها سيء وخطير، وبعضها الآخر جيد وجميل ورائع، إذ ليس هناك شعب من الشعوب أو دولة من الدول يمكن أن نحكم عليها بالشر المطلق، رغم أن بعض حكوماتها أو بالأحرى بعض سياساتها أو قادتها السياسيون يلعبون أدوارا شريرة. وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق ينبغي لنا دراسة التجربة الإنسانية للشعب الأمريكي في مجال العمل الخيري بعيدا عن أية اعتبارات أو مواقف تجاه السياسات الخارجية للحكومات الامريكية المتعاقبة[18]. فمن الابتكارات الجديدة في أساليب عمل الخير بإمكانية التبرع عبر الإنترنت وبإضفاء البعد التجاري أو الاستثماري على المشروعات الخيرية يسرت لمزيد من الأفراد والشركات الأميركية التبرع بالمال لمن هم أقل حظا في جميع أرجاء العالم، وسمحت لهم بأن تكون لهم كلمة في كيفية إنفاق تبرعاتهم[19].

ومن خلال استعراض لإحصائيات حول العمل الخيري بالغرب، نجد أن هناك فرق شاسع بيننا وبينهم رغم ما نملك من قيم ودوافع وجزاء عظيم في الدنيا والآخرة لم نستغلها في تقديم عمل تطوعي مشرف نتفوق به على الغرب[20].

2) المجتمع المدني والعمل التطوعي الخيري في الجزائر:

تتطلب الظروف المختلفة التي يعيشها مجتمعنا اليوم، خاصة من الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، تضافر الأطراف الفاعلة لمواجهة هذه الأوضاع خاصة مع تزايد الطلب على الخدمات الاجتماعية نوعا وكما.

2-1) دعم المجتمع المدني الجزائري للعمل التطوعي الخيري:

يمثل العمل التطوعي الخيري تكريسا للقيم الاجتماعية والأخلاقية الحميدة كالثقة والصدق والتعاون والتراحم والتكافل، ولعل أسمى هدف لجمعيات المجتمعات المدني هو البحث عن سبل توظيف العمل الخيري الاجتماعي في بناء ثورة علمية تقنية والتي تقوم على خدمة التنمية المستدامة.

التويزة وثقافة التضامن والتطوع أول تعبير للمجتمع المدني الجاد:

لم تظهر ثقافة التضامن والتطوع بدول المغرب العربي الإسلامي مع ظهور المؤسسات بعد الاستقلال، بل كانت موجودة ومعروفة قبل ذلك، إذ تعود نشأة التآزر والتضامن إلى آلاف السنين وتوطدت مع نظام الأوقاف الإسلامي. فكلمة "التطوع" تعود عندنا لكلمة "التويزة"، وهي تعريب دارج للفظ الشعبي المتوارث والذي يعني في مدلوله اللغوي التضامن والتعاون، ويعني أيضا في مضمونه الاجتماعي مؤسسة اجتماعية للتضامن والتعاون قائمة بذاتها تنظمها قواعد وضوابط. فغاية "التويزة" ليست الحصول على أصوات في الانتخابات، بل هي خدمة المجتمع ورضا الإنسان ومساعدته وإسعاده باعتباره إنسانا، فالغاية هي الإنسان وليس شيئا آخر. وهذا ما انبهر له الاقتصادي كارل ماركس عندما زارا الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، إذ اعترف بأن النظام الاجتماعي التضامني في الجزائر هو أكثر ديمقراطية من الأنظمة الديمقراطية بأوروبا[21].

العوامل المساعدة في بروز المجتمع المدني:

يمكن تحديد ثلاث مجموعات من العوامل أسهمت في بروز المجتمع المدني في الجزائر المستقلة في شكل جمعيات مدنية وطنية ومحلية:

- السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الجزائر منذ بداية التسعينات من القرن الماضي والتي تمثلت في التحرير الاقتصادي وتخلي الدولة عن جزء كبير من الدور المحوري التي كانت تشغله اقتصاديا واجتماعيا، فقد كان وراء ذلك تفاعل الضغوط القادمة من المؤسسات المالية الدولية مع الأزمة الاقتصادية وارتفاع الديون الخارجية، وقد أدت سياسات التحرير الاقتصادي إلى خفض الإنفاق العام على الخدمات الاجتماعية وبرامج الرفاهة الاجتماعية؛
- التحولات الديموغرافية والاجتماعية التي شهدتها مثل تزايد عدد السكان وما يفترضه ذلك من احتياجات جديدة فضلا عن النمو الحضري الذي لم يواكبه تنمية اقتصادية وغيرها من تحولات؛
- وضغط تطبيق برامج التعديل الهيكلي، الذي أدى للبحث عن فاعلين جدد غير حكوميين يتم التعامل معهم بغية سد الفجوة التي تركتها الدولة وإنقاذ ضحايا التحرير الاقتصادي.

ومسار المجتمع المدني والعمل الخيري التطوعي:

إن للجزائر تاريخ عريق في العمل الجمعوي، فقد عرف الجزائريون تأسيس الجمعيات منذ قرون كأهم ركائز المجتمع المدني. ففي صحراء الجزائر بمنطقة وادي ميزاب، تأسست منذ أكثر من تسعة قرون، أول جمعية في التاريخ الإنساني، وهي جمعية "حلقة العزابة" القائمة حتى الآن، والتي تعد مؤسسة اجتماعية مدنية فريدة من نوعها، سواء على مستوى التأثير في محيطها الاجتماعي، أو على مستوى إيمان أعضائها بمبادئ وأهداف وبرنامج جمعيتهم التي تعد المرجع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الأول للسكان بولاية غرداية من متتبعي المذهب الأباظي.

برجوعنا للتطوع العلمي الذي خدم المجتمع ودحر الاستذمار (الاستعمار) الفرنسي، يقودنا الحديث إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كجمعية مدنية علمية وتطوعية، تأسست يوم 05 ماي 1931 في نادي الترقي بالجزائر العاصمة على يد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس إثر دعوة وجهت إلى كل عالم من علماء

الإسلام في الجزائر. فأعلنوا قيام جمعية دينية تهذيبية تسعى لخدمة الدين والمجتمع, لا تتدخل في السياسة ولا تشتغل بها, تضم أفراد المجتمع من مختلف جهات الجزائر ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية.
ولقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تحقق الكثير من الانجازات أيام الاحتلال، فوضعت القواعد الأساسية الأولى لإعادة بعث فكرة المجتمع المدني من جديد من خلال الارتكاز في برنامجها على الطابع الثقافي والتعليمي الإسلامي العربي، فقامت بإنشاء صحف ومدارس ومعاهد ومحاربة البدع والخرافات وإيفاد البعثات العلمية لمزاولة الدراسات الجامعية في الخارج. ويكفي الجمعية شرفا، تخرج من مدارسها كبار القادة الذين صنعوا ملحمة ثورة الجزائر الخالدة.

2-2) روح التضامن والمجتمع المدني الجزائري:

زيادة على التطوع الخيري وعمل جمعيات المجتمع المدني، هناك تدعيم وتضامن واجب على الهلال الأحمر الجزائري وعلى السلطة نفسها اتجاه أفراد المجتمع في إطار تحقيق أهداف الألفية للتنمية التي سطرتها منظمة الأمم المتحدة حول الحق في التنمية باعتبار الكائن البشري هو العامل الأساسي لمسار التنموي[22]. ونشير هنا زيادة على تضامن المجتمع، هناك في الجزائر وزارة للتضامن الوطني والأسرة.

- **روح التضامنية في المجتمع المدني:**

بالرغم من عدد الكوارث المريرة التي ألمت بالجزائر وارتفاع ضحايا المأساة الوطنية من جراء سنوات الإرهاب في التسعينات من القرن الماضي، إلا أنها شهدت روح تضامنية وطنية جد عالية من المواطنين وجمعيات المجتمع المدني، خاصة في الكوارث الطبيعية والمناسبات الدينية، ومنها نذكر أمثلة:

- شهر رمضان: سنويا خلال شهر رمضان، هناك نشاط خيري يقوم به المجتمع المدني من خلال جمعياته بدءا من مائدة الإفطار إلى التكافل المتعدد الأوجه؛
- الزلزال: الذي أضحى للأسف واقعا أكثر منه احتمال علمي، فشمال الجزائر يتميز بنشاط زلزالي كبير تم تسجيله[23]؛
- السيول والفيضان: ما بين سنوات 1964 و2001، تم تسجيل 54 فيضانا خطيرا مس العديد من دول العالم العربي نذكر منها 10 فيضانات بالجزائر وآخرها كارثة 10 نوفمبر 2001 بالجزائر العاصمة بمنطقة بباب الوادي أهم كوارث التي عرفتها البلاد مع بداية الألفية الجديدة؛
- والحرائق: التي تعتبر من الكوارث شديدة الخطورة نظرا لما تخلفه من دمار بالمساكن والمنشآت وخسائر بالغة في الأرواح والممتلكات. فهذه الظاهرة أصبحت تتلف سنويا آلاف هكتارات من الغابات والغطاء النباتي بكل ما ينجر عن ذلك من آثار سلبية على الطبيعة و على الإنسان معا.

- **دعم العمل الخيري التطوعي:**

كانت حصيلة نشاطات سنة 2009 والبرنامج المادي للإنجازات المسطر في إطار البرنامج الخماسي 2010-2014 [24] ملخص في التصور التالي:

- مباشرة برنامجا واسع النطاق يرمي إلى تعزيز الترتيبات الموجودة مثل تلك المتعلقة بالفئات الهشة من السكان والاندماج الاجتماعي والتنمية في المناطق المحرومة والمعزولة؛
- تطوير تصورا اندماجيا في اتجاه الأشخاص المعاقين من خلال وضع آليات جديدة للاندماج المهني عن طريق وضع هياكل عمل محمية وتسهيل اقتناء التجهيزات والأجهزة المواتية؛
- ترقية المجتمع المدني من خلال الحركة الجمعوية ذات الطابع الاجتماعي والإنساني الحاملة لمشاريع تنموية مستدامة؛
- واعتماد القرض المصغر قصد إدماج اجتماعي واقتصادي للأشخاص ذوي المهارات من خلال استحداث نشاطات إنتاج السلع والخدمات.

وبهذا، تمثلت حصيلة نشاطات القطاع سنة 2009 في:

- رفع قيمة المنحة الجزافية للتضامن إلى ثلاثة أضعافها ابتداء من سنة 2009؛
- رفع المساعدة المالية للأشخاص المعاقين بنسبة 30 بالمائة؛
- تعزيز استفادة الأشخاص المعاقين من النقل من خلال التوقيع سنة 2009 على 8 اتفاقيات مع المؤسسات العمومية الجديدة للنقل البري لينتقل عدد الاتفاقيات الموقعة مع متعاملين في مجال النقل البري وبالسكك الحديدية والجوي سنة 2009 إلى 19 اتفاقية؛
- عملية تحديد المعوزين غير المؤمنين اجتماعيا للاستفادة من العلاج أفضت إلى تسجيل زهاء 160.000 شخص معني؛
- وضع شبكة الهياكل المتخصصة بالتكفل بفئات المعاقين و/أو الذين يعانون صعوبات اجتماعية تعززت سنة 2009 بفتح 14 مؤسسة جديدة لينتقل العدد الإجمالي لهذه المؤسسات إلى 289 هيئة بطاقة استقبال نظرية تقدر بـــ 30.000 مقعد تضاف إليها المراكز التي تسيرها الحركة الجمعوية، وهذا بميزانية إجمالية لسير هذه المراكز تقدر بـــ 7 مليارات دينار؛
- في مجال التربية والتعليم المختصين، ومقارنة بالسنة الدراسية 2008–2009، تم تسجيل ارتفاع هام فيما يخص عدد الأطفال المحتاجين المتكفل بهم والذي انتقل من 14 ألف طفل إلى 17 ألف خلال السنة الدراسية 2009–2010، إضافة لمساعدة العائلات المعوزة بتوزيع أدوات مدرسية وكذا توفير حافلات للنقل المدرسي بـــ 4.000 حافلة؛
- وتخصيص غلاف مالي بقيمة 4 مليارات دينار للأعمال التضامنية في شهر رمضان لسنة 2009.

ويرمي البرنامج الخماسي 2010–2014 لاسيما إلى تعزيز الأعمال التضامنية التي تمت مباشرتها سنة 1999 لفائدة الأشخاص الذين يعانون صعوبات اجتماعية. ويهدف البرنامج إلى معالجة كل أشكال الفوارق وتشجيع مرافقة الفئات المحتاجة من اجل إدماجهم الاجتماعي والاقتصادي، وكما يرمي إلى ترقية دور المؤسسات الأساسية المكلفة بالتضامن الوطني وإعطاءها ديناميكية حسب تصور يضمن تنمية بشرية دائمة.

⊕ المشاكل المعيقة لعمل المجتمع المدني لتفعيل العمل الخيري التطوعي:

يمكن حصر بعض المشاكل التي تعترض أداء العديد من جمعيات المجتمع المدني في دعم العمل الخيري في نقاط عديدة منها:

- الخلط بين ما هو سياسي وما هو جمعوي يطرح لبس لدى الشباب؛

- إقصاء الشباب وعدم إعطائهم صفة مؤسسين وإنما يحضون بلقب المنخرط وهذا ما يجعل عملهم مهمش؛
- تدبير الشأن داخل مكاتب الجمعيات بطريقة غير ديمقراطية؛
- التغاضي عن دعم بعض الجمعيات؛
- وغياب الحوار داخل الجمعيات لاعتبارات عديدة وكذا عدم اتساع دور الشباب وعدم تلبيتها لطموحات الشباب للابتكـــــــار والإبداع والخلق.

وأخلاقيات جمعيات المجتمع المدني قبل أداء العمل الخيري:

وآخر الكلام وباختصار في الجزائر وفي العالم أجمع، نؤكد أن لكل عمل أخلاقيات (Ethics) تحكمه، وجمعيات المجتمع المدني في أدائها للعمل الخيري، يجب أن تلتزم كذلك بأخلاقيات المهنة وأن احترام أخلاقيات العمل، كون المنظمات ظلت لفترة طويلة ترتكز بشكل مستمر على المعايير المادية، بينما المعايير الأخلاقية ظلت محدودة الأثر[25].

بعث الله عز وجل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، وأثنى كثيراً على حسن الخلق وكان يستعيذ من سوء الخلق. ووردت أحاديث كثيرة منها الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه "إن من أحبكم إليُ وأقربكم منيُ مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلاقا"، "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"... الخ.

ومنه، يجب على جمعيات المجتمع المدني المهتمة بالعمل الخيري أن تضع مواثيق لأخلاقيات المهنة، كون الحرص على أخلاقيات العمل هو أمرٌ أخلاقي وديني وإداري. والسلوك الخلقي القويم ليس أمرا سهلا، والتعرف على ما يجب عمله في كل موقف ليس أيضاً أمراً سهلاً[26]. فليست كل العمليات التي تقوم جمعيات المجتمع المدني مقبولة، فقد نجد بها أمور كثيرة غير مقبولة وبها تصرفات غير مقبولة عن قصد أو من دون قصد.

تفرض الظروف المتجددة التي يعرفها العالم وجوب إعادة النظر في عدة قضايا مرتبطة بجمعيات المجتمع المدني، فلا بد من ربط عملياتها بالجانب الأخلاقي.

خاتمة:

دون شك، يتصف العمل الخيري من خلال الجمعيات بأنه عمل تطوعي وعمل تلقائي, فعلينا أن نشجع جمعيات المجتمع المدني من أجل تقديم خدمات تليق بالمجتمع. ولا بد من إعادة تقييم وتقويم ثقافة المجتمع في كل المجالات ليساير الوضع الراهن للاقتصاد الجزائري. إذ لا بد من تأهيل وإعداد أفراد في المؤسسات لأنهم بمثابة "العربة الرئيسية التي تقود القطار". فلإنجاح العمل التطوعي للجمعيات المدنية، لابد من اعتماد التكوين والتدريب منهجا من أجل تحسين المهارات اللازمة للتسيير[27].

على جمعيات المجتمع المدني أن تخرج من أروقة الصالونات المكيفة وأمام كاميرات التلفزيون وقاعات الفنادق الفخمة وتغادر المنابر وصفحات الجرائد، ويجب أن تحكم وتدار ذاتيا وليس من قوى خارجية، وأن تشتمل على قدر من المساهمة التطوعية[28]. فمن أجل ترشيد وتنظيم العمل الخيري من خلال جمعيات المجتمع المدني قصد مكافحة الأمراض والفقر وتحسين الخدمات الصحية لأفراد المجتمع.

وعليه، نوصي بـــــ:

- وضع برامج لاستقطاب المتطوعين من خلال الجمعيات والمؤسسات الخيرية؛
- ابتكار برامج تطوعية جديدة؛
- استخدام مواقع الانترنت والشبكات الإخبارية والقنوات الفضائية والصحف والجمعيات الخيرية والمنتديات لتعميم المشاركات في العمليات التطوعية؛
- ضرورة تعزيز الحكومة للجمعيات الخيرية بتطوير تشريعات وتنظيمات العمل الخيري؛
- العمل على الاستفادة وتبادل الخبرة من التجارب المتميزة في تنمية العمل الخيري؛
- دعوة العلماء والفقهاء للمساهمة في إعداد الدراسات الشرعية للعمل الخيري على ضوء الواقع ومستجداته؛
- تشجيع اللامركزية في العمل التطوعي؛
- التدريب المكثف للمتطوعين؛
- محاولة التغلب على الضغوط المادية وتمويل الجمعيات من قبل الدولة بطرق موضوعية مع إعطاء أهمية للجمعيات الشابة؛
- خلق شراكات مع القطاعين العام والخاص لدعم العمل الخيري؛
- العمل على غرس ثقافة العمل الجمعوي وروح المبادرة، ونشر ثقافة العمل الخيري الإسلامي التطوعي؛
- وأخيراً ضرورة التركيز على أخلاقيات المهنة في أداء العمل الجمعوي الخيري الإسلامي التطوعي.

الهوامش والمراجع:

---

1 DEMIRGÜÇ-KUNT Asli & LEVINE Ross, «Finance et opportunité économique», Revue d'économie du développement (France), Numéro 22, 2008/4, pp. 5-29.

2 رنا أحمد غانم، «تفعيل دور المجتمع المدني في مكافحة الفساد»، تاريخ الموضوع 2008/04/06، http://www.snaccyemen.org/details.asp?id=148&catid=42

3 عبد الله العلي النعيم، «العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودي»، بحث مقدم إلى مؤتمر العمل التطوعي والأمن، الرياض 25- 27 سبتمبر 2000.

4 هناك دراسات حول الوقف الإسلامي من منظور تنموي، ارجع على سبيل المثال:

- بوجلال محمد، «الحاجة إلى تحديث المؤسسة الوقفية بما يخدم أغراض التنمية الاقتصادية»، مداخلة في المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي المنعقد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مارس 2003؛
- خوني رابح & حساني رقية، «دور مؤسسة الوقف في تمويل التنمية»، مجلة الحقيقية، مجلة أكاديمية محكمة تصدر دوريا عن جامعة أدرار-الجزائر، العدد 07، ديسمبر 2005، ص ص 220-235.

5 أميرة عبد الطيف مشهور، «الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي»، ط. مكتبة مدبولي، القـاهرة، 1991، ص 35.

6 http://encyclo.voila.fr/wiki/Volontariat.

7 عمار الجريفاني، «تفعيل العمل الخيري»، تاريخ الموضوع 2010/03/02، http://www.slideshare.net/guest65ade7/volunteerism

8 فعليات المؤتمر السادس للاتحاد العربي للعمل التطوعي، المنظم من قبل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة يوم 2010/07/10، وبمشاركة 16 دولة عربية. ويذكر أن الاتحاد العربي للعمل التطوعي تم تأسيسه في 05 ديسمبر 2003.

9 محمد بن صالح بن علي القاضي، «الأعمال التطوعية في الإسلام»، تاريخ الموضوع 2010/08/16، http://www.saaid.net/Anshatah/dole/76.htm

10 الأمم المتحدة، مجلس إدارة برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، «إشراك المجتمع المدني في تحسين أسلوب الإدارة المحلية»، الدورة العشرون، نيروبي، 04 – 08 أبريل 2005.

11 Ritimo (réseau d'information et de documentation pour le développement durable et la solidarité internationale), «La Société civile», http://www.ritimo.org/dossiers_thematiques/societe_civile/societe_civile_intro.html.

12 عمر بن نصير البركاتي الشريف، «الأثر الاقتصادي للأعمال التطوعية»، بحث مقدم لندوة العمل التطوعي وتأثيره في التنمية الاقتصادية، الرياض 06/4/.1429هـ.

13 Guillaume LAMY, «Mondialisation et pauvreté, Regards croisés sur l'économie», Revue par distribution électronique Cairn pour La Découverte (France), Numéro 04, 2008/2, pages 95 à 96. http://www.cairn.info/article.php?ID_REVUE=RCE&ID_NUMPUBLIE=RCE_004&ID_ARTICLE=RCE_004_0095.

14 جمعية تفلتواز، «حياة الشباب والعمل الاجتماعي والتنموي التطوعي»، تاريخ الموضوع 2010/08/11، http://www.saaid.net/Anshatah/dole/61.htm

15 فؤاد علي بكر علي، «العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية»، تاريخ الموضوع 2010/03/21، http://fab83.maktoobblog.com/1560495

16 موقع الأمم المتحدة حول التطوع، http://www.un.org/ar/events/volunteerday/background.shtml

17 علي ميّا & سماهر محمد ناصر، «النزاهة والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد»، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 27، العدد 02، 2005، ص ص 89–108.

18 مقال، «مقتبسات عن تجربة العمل الخيري في الولايات المتحدة الامريكية»، تاريخ الموضوع 2008/02/14، http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10449.htm

19 مقال (شبكة النبأ المعلوماتية)، «العمل الخيري بأساليب جديدة في امريكا»، تاريخ الموضوع 2006/12/25، annabaa.org/nbanews/60/563.htm

20 مقال، «حقائق وأرقام عن العمل التطوعي في الغرب»، تاريخ الموضوع 2008/05/12، www.arabvolunteering.org/corner/avt12778.html

21 محمد بودهان، «متى نشأت ثقافة التضامن بالمغرب؟»، تاريخ الموضوع 2009/07/10، http://membres.multimania.fr/tawizaneghmis/Tawiza81/Tiwizi.html

22 المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي (C.N.E.S)، «تقرير حول الظرف الاقتصادي والاجتماعي للجزائر للسداسي الثاني 2003.»، الجزائر، نوفمبر 2003، الدورة الرابعة والعشرون، ص 45.

23 يمكننا أن نذكر أهم الزلازل التي تم تسجيلها في بلادنا: الجزائر 1356، الجزائر 1716، وهران 1790، معسكر 1810، جيجل 1856، تيبازة 1891، تنس ولاية الشلف 1922، الأصنام سابقا–الشلف 1954، الأصنام سابقا–الشلف 1980، قسنطينة 1985، تيبازة 1989، معسكر 1994، عين بنيان (الجزائر) 1996، عين تموشنت 1999، بني ورثيلان (سطيف) 2001، بومرداس والجزائر 2003، والمسيلة 2010.

24 جلسة الاستماع السنوية لرئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ليوم ا لأحد 29 أوت 2010 المخصصة لقطاع التضامن الوطني والأسرة.

25 نجم عبود نجم، «أخلاقيات الإدارة ومسؤولية الأعمال في شركات الأعمال»، ط.مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص 88.

26 Brigitte PEREIRA, «Chartes et codes de conduite: Le paradoxe éthique», Revue management et avenir (France), Numéro 21, 2009, pages 26 à 43.

27 خضير كاظم حمود & ياسن كاسب الخرشة، «إدارة الموارد البشرية»، ط. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2007، ص 101.

28 عبير مصلح، عزمي الشعبي، علي جرباوي، محمد أبو زايد، سامي الكيلاني، «النزاهة والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد»، ط. منظمة الائتلاف من النزاهة والمساءلة –آمان– بدعم من مؤسسة الدولية CHF، القدس، 2007، ص 165.